

«الأيقين»

الرؤية الإسرائيلية للثورات العربية
(الثورة المصرية نموذجاً)

مقالات

«الأيقين»، الرؤية الإسرائيلية للثورات العربية (الثورة المصرية نموذجاً)

مقالات

سلسلة غير دورية تلتزم أبحاثاً ونظائر مركزية، تتناول شؤوناً وفحواً محل اهتمام عام، كما تبايع التطورات والمستجدات الرئيسية على الصعيد المحلي والإقليمي والدولي.

تتمتع السلسلة بمعالجة إشكاليات وتحليل مواقف وبناء توقعات، ولا سيما منها ما يرتبط بشؤون الصراع مع العدو والتحديات العالمية المؤثرة على العلاقات الدولية وموازين القوى، وتتركز أيضاً على المشروعات والمنجزات والمساهمات الداخلية المختلفة.

المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق



المركز الإستشاري للدراسات والتوثيق
the Consultative Center for Studies and Documentation

Tel: 01/836610 - 03/833438 Fax: 01/836611
P.O.Box: 24/47 Beirut - Lebanon
www.dirasat.net E-mail: dirasat@dirasat.net



«اللايقين»

الرؤية الإسرائيلية للثورات العربية

(الثورة المصرية نموذجاً)

«اللايقين»

الرؤية الإسرائيلية للثورات العربية

(الثورة المصرية نموذجاً)



المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق

The Consultative Center for Studies and Documentation

مؤسسة علمية متخصصة تُعنى بحقلي الأبحاث والمعلومات

مقاربات: سلسلة بحثية غير دورية، تتضمن أبحاثاً وتقارير مركزة، تتناول شؤوناً وقضايا مختلفة، كما تتابع التطورات والمستجدات الرئيسية على الصعد المحليّة والإقليمية والدوليّة.

العنوان: «الللايقين» الرؤية الإسرائيلية للثورات العربية
(الثورة المصرية نموذجاً)

إعداد الباحث: أ. ناصر شرارة

الناشر: المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق

العدد: العشرون

الطبعة: الأولى

القياس: ٢٤/١٥

تاريخ النشر: آب ٢٠١٤ الموافق شوال ١٤٣٥هـ..

حقوق الطبع محفوظة

العنوان: بثر حسن - خلف الفاتري وورلد - أوتوستراد الأسد
فوق صيدلية سبيتي - بناية الإنماء غروب الطابق الأول.

هاتف: ٠١/٨٣٦٦١٠

فاكس: ٠١/٨٣٦٦١١

خليوي: ٠٣/٨٣٣٤٣٨

البريد الإلكتروني:

dirasat@dirasat.net

www.dirasat.net

الآراء الواردة في هذه السلسلة لا تُعبّر بالضرورة عن آراء

المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق

مقدمة

أطلق باحثون إسرائيليون على العام ٢٠١١ مصطلح «عام ٢٠١١ العربي». وعبرت هذه التسمية عن أن النخب الإسرائيلية نظرت إليه بوصفه لحظة تحوّل أدخل المنطقة في عصر توقيت مؤثر الساعة الاستراتيجية للشعوب العربية، إضافة إلى أنه أدخل إليها ضيفاً ثقيلاً هو المجال السيرنيتي (الفايسبوك والتويتر والخليوي، الخ.) الذي لا يمكن التنبؤ بكيفية تفاعله ومتى يقود ثورة تفضي إلى انهيار نظام آخر.

كان العام ٢٠١١ بحق بمثابة الجرس الذي قرع داخل «إسرائيل» إنذاراً بتحد غير مسبوق في نوعيته. فهو طرح عليها جيلاً جديداً من التحدّيات لم تستعد له مؤسّساتها الأمنية ولا السياسية بل إنها لم تتوقعه. وأبرز ما خلفه ظهور هذه التحدّيات هو أنها أصابت بأضرار جسيمة ثقة الإسرائيليين بأنماط تفكير أساسية معتمدة في كيانهم، وأصبح لها مع تقادم الزمن عليها وثبات مصداقيتها بنسبة عالية شكل المقدس؛ والمقصود هنا منظومة أنماط تفكير تحكمت في نظرة «إسرائيل» إلى المواطن العربي، ونظرتها إلى الاستقرار في المنطقة، وعلاقتها في الإقليم، فضلاً عن علاقتها بواشنطن والغرب.

بدأت «إسرائيل عام ٢٠١١» لفترة غير قصيرة، وقد فقدت القدرة على تقديم إطار معرفي لفهم الأحداث الجارية في محيطها العربي وتقدير انعكاساتها عليها في غير مستوى. وكنتيجة لذلك ساد داخل النخب الإسرائيلية نوع من جلد الذات السياسي اشتمل على رمي مواقع القرار الإسرائيلي بمختلف أطرافه بتهم العمه الاستشعاري المسبق لما حدث و العجز عن التوقع الاستراتيجي لما تخبئه المنطقة من تطوّرات

هامة، بالانفصال عن الواقع المستجد.

وفي ظلّ ما بدا أنه «تسونامي شلل» أصاب مؤسّسات الرؤية والقرار الرسمية في «إسرائيل»، تمثل أحد تعبيراته بتقدم موقع رئاسة الحكومة الإسرائيلية بطلب التزام الصمت تجاه الأحداث العربية من مراكز التفكير السياسي وحتى الأحزاب. وقاطع ما يمكن تسميته بـ «قطاع المعرفة النخبوي الخاص» المتشكل من باحثين وكتاب رأي ونُخب أمنية، متقاعدة أو تعمل في مجال الاستعلام غير الرسمي، هذا التوجيه الرسمي. وانبرى هؤلاء لمهمة قراءة «العام ٢٠١١ العربي» وتحليل أسبابه وماهيته، وبالأساس تنفيذ أسباب فشل «إسرائيل» في توقعه، توصلًا لكيفية التمكن من إدراك العجز المعرفي تجاه ما يحدث في المنطقة. وخلال مهمتهم هذه بدا أنهم يقومون بمحاولة ملء الخواء الذي شاب المنظومة المعرفية الرسمية السائدة، وذلك لمصلحة إنتاج رؤية إسرائيلية جديدة قادرة على مواكبة المتغيّر العربي الهائل وفهم أبعاده المستترة وإشاراته الاستراتيجية غير المعهودة.

وأبرز ما ميّز النقاش الإسرائيلي للعام ٢٠١١ العربي أنه قارب عناوين عدة هامية، معظمها مستجد قياساً على ما هو معهود عن اهتمام النخب الإسرائيلية، أو عناوين لم يتم التطرق إليها على نحو علني من قبل. والسبب الذي استدرج هذه العناوين للنقاش هو الصدمة التي أصابت «إسرائيل» جرّاء أحداث ثورة مصر تحديداً، ما جعل نخبتها تعتبر تقليد الرقابة الذاتية أثناء نقاشاتها جزءاً من إرث فشل المفاهيم التي تبنتها ورائها «إسرائيل» لعقود طويلة خلت وثبت الآن فشلها.

أدّى كل ما تقدم إلى إكساب النقاش الإسرائيلي في عام ٢٠١١ غنى استثنائياً، تضمّن من بين أشياء أخرى، إلى إمطة اللثام عن الكيفية التي تفكر فيها «إسرائيل» ليس فقط إزاء المرحلة الجديدة التي دخلتها المنطقة، بل وبالأساس إزاء جملة إشكالات إسرائيلية داخلية وخارجية مطروحة من قبل ولكنها لم تحصل على أجوبة صريحة كالتي نالتها في سياق النقاش الإسرائيلي لأحداث العام ٢٠١١.

وتكمن أهمية هذا النقاش أيضاً في أنه كشف جملة مقولات متحكمة في العقل الإسرائيلي وتتسم بأن لها منزلة القدسية، وهي تتعلق بنظرتها إلى العرب والمسلمين شعوباً وأنظمة. كما أن استرسال وقائعه قاد لأول مرة إلى سبر غور إشكاليات مكبوتة تخص علاقة «إسرائيل» بالولايات المتحدة الأميركية، وذلك بمناسبة تحمیل الأخيرة مسؤولية هز الاستقرار في المنطقة عبر ضربه بعصا الثورات العربية. وقدّم كتاب إسرائيليون في هذا السياق مادة تتضمّن ما يمكن تسميته «نقد الغرب» أو محاكمته من وجهة نظر يهودية وليس إسرائيلية فقط. وتمّ في هذا المجال تقديم رؤية تاريخية فندت موقع مقولة «تصدير الديمقراطية الغربية إلى العالم العربي» كما تطرحها واشنطن اليوم داخل تاريخ الفكر الغربي بخصوص نظرتة إلى المنطقة. وقارب كتاب آخرون تصوّراتهم لمستقبل «إسرائيل» في الشرق الأوسط بعد العام ٢٠١١ انطلاقاً من منهجية جديدة تضمّنت مراجعة لمفهوم الاستقرار في الشرق الأوسط كما شاركت «إسرائيل» في صياغته خلال العقود الماضية، وأيضاً من زاوية إطلالة تاريخية رصدت أهم الأفكار التي وجّهت اليهود خلال زمني «الشتات» و«الدولة» لتخطيط علاقاتهم بالآخر. وتكشف هذه المقاربات عن جوانب عميقة غير مطروقة قبلاً داخل بنية التفكير الإسرائيلي تجاه إشكالياتها الداخلية والخارجية ونظرتها إلى الذات والآخر، وذلك عبر سياق يغطي مرحلة زمنية طويلة وذات مستوى تاريخي.

وفي ما يتعلّق بالثورات العربية وأسبابها ومستقبلها وتحديد ماهيتها قدّم النقاش الإسرائيلي معالجة متعددة الزوايا، كان أبرزها محاولة رؤيتها من زاويتين تاريخية سياسية سوسيو جية. وأبرز ما في هذه المعالجة أن النخب الإسرائيلية توّسّلت فيها العودة إلى إرثها المعرفي المخزون في ذاكرتها عن تجاربها أو تجارب وصلت إليها من أجدادها في بلاد النشأة، خاصة في أوروبا، وليس داخل الكيان الصهيوني الذي هاجرت إليه في أواسط القرن الماضي .

أظهر هذا السلوك الملحوظ في مقاربات نخب إسرائيلية لأحداث العام

٢٠١١ العربي أمراً هاماً أضاف تعديلاً على النظرية المطروقة بخصوص أن «إسرائيل» مجتمع بثقافات متعددة حملها معهم مستوطنوها من البلدان التي جاؤوا منها إلى «أرض الميعاد». ومفاد التطوير هنا يتصل بالعناصر التالية:

- «إسرائيل» ليست خلاصة ثقافات غربية، بل الأدق أنها خلاصة انتماءات لهذه الثقافات عاجزة عن توليف نفسها في بوتقة إسرائيلية جامعة. إن رصد نقاش النخب الإسرائيلية لأحداث العام ٢٠١١ أظهر أن «إسرائيل» خليط من ثقافات مرتبطة بذاكرة خارجية متعددة المنابع؛ وأبرز خاصياتها أنها حينما تشعر بخاطر غير مألوف داخل كيائها، فإنها تفرع إلى ملاحجٍ نشأتها خارجه لتعرف من معينه أنماط تفكير تتوسل صياغة رؤية جديدة لما يجب أن يكون عليه موقفها من التطورات غير المحسوبة وكيفية تدبّر أمرها حيالها لاحتوائها أو التكيف معها أو استعادة زمام القدرة على مواجهتها. لم يحدث أن تظهر هذا البعد سابقاً في المجتمع الإسرائيلي قياساً على أزمات سابقة كثيرة. لكن العام ٢٠١١ رسمه بجلاء إلى حد بعيد، وأظهر أن الكيان الصهيوني هو ملجأ مكاني لـ«شعبه» وليس ملجأ ذاكرة وعي جماعي عميقة، وأن لا يملك ذاكرة إسرائيلية عن حركة تاريخه، بل ذاكرة لجوء وذاكرة أحداث عايشها مجتمع هذا الكيان الأجداد في مواطنهم الأصلية. بكلام آخر لا توجد أولوية في العقل الإسرائيلي لمكانة تجربته داخل الكيان الوليد عام ١٩٤٨ بل الأولوية لا تزال تشده إلى أرض النشأة التي هاجر منها حيث تكمن مصادر سلوكه للتعامل مع الأحداث الجسام.

قُصارى القول في هذا المجال أنه بعد ٧٥ عاماً من الإقامة فوق الأرض الفلسطينية المغتصبة، كان يمكن بمناسبة تحليل طبيعة نقاش النخب الإسرائيلية لأحداث العام ٢٠١١ العربي، لحظ أن «إسرائيل» هي كيان تجمعي وليس مجتمعي، وأن الثقافة فيه لا تزال ما دون الذاكرة «الوطنية» وحتى ما دون الصهيونية بمعناها الجامع، وهي في أحسن أحوالها إرث «اليهودي التائه» الملتبسة ذاكرته الجديدة.

منهجية البحث

يهدف هذا التقرير إلى رصد وقائع مساحة التفكير الإسرائيلي خلال العام ٢٠١١ مع بداية مسار الثورات العربية في كل من تونس ومصر وذلك كما جرى التعبير عنها في مئات المقالات والافتتاحيات والدراسات الإسرائيلية. وتم اعتماد منهجية بمعايير مختلفة لرسم صورة هذه المساحة التي امتازت بأنها تضمّنت نقاشاً إسرائيلياً على صلة بمسائل هامة طرحتها هذه الثورات كتحديات معرفية واستراتيجية على «إسرائيل». وهذه المعايير تلخصها بالتالي:

المعيار الأول، تجنب الانتقائية في اختيار النصوص، وإيجاد منهجية تؤمّن هذا المعنى وتراعي في الوقت نفسه حقيقة أنه لا يمكن نقل وقائع مئات المقالات والدراسات ضمن هذا التقرير. وعليه تم تصنيف النصوص الإسرائيلية المتفاعلة داخل إطار النقاش الإسرائيلي لأحداث العام ٢٠١١ العربي حسب موقعها بين مناهج الرأي الذي تنتمي إليه داخل مجمل هذا النقاش وبالتالي أصبح ممكناً عرض كل تفاصيل النقاش الإسرائيلي من خلال إبراز أفكار الاتجاهات الذي أنتجها. بمعنى آخر إن إغفال تفاصيل هذا النص أو ذاك لا يلغي عدم إيراد معناه في التقرير ما دامت فكرته الرئيسة قد تم التعبير عنها من خلال عرض الاتجاه الذي يتبناه داخل النقاش الإسرائيلي. وقد سمحت هذه المنهجية بتعقب آراء نسبة عالية من مجمل جزئيات النقاش الإسرائيلي حول «عام ٢٠١١ العربي»، وذلك من خلال لحظ أن النخب الإسرائيلية توزّعت وفق حصيلة قراءة معمّقة للنصوص الإسرائيلية ذات الصلة على أربعة اتجاهات: رأي في قراءتها للثورات العربية: الأول تاريخي، والثاني منهجي من وجهة نظر علم الاجتماع والثالث سياسي وجيوستراتيجي، والرابع اقتصادي.

المعيار الثاني، اعتماد منهجية تفكيك النصوص توخيّاً لايجاد معنى الاتجاه العام لكل نص. والهدف من ذلك إظهار المشترك فيه مع آراء أخرى وردت في نصوص متعددة. ومن خلال تركيب لوحة لاتجاهات الآراء داخل النصوص

أمكن وضع النقاش الإسرائيلي عن العام ٢٠١١ العربي ضمن إطار فكري وسياسي وثقافي وأمني، ما ساعد على تقديم مادة حديثة عن كيفية تفاعل «إسرائيل» مع أحداث هذا العام، فحسب بل كيف فكرت «إسرائيل» وكيف انقسمت آراؤها وعلى أية أسس وخلفيات ثقافية وفكرية وسياسية، وتاريخية حتى. وقادت هذه المنهجية إلى جعل هذا التقرير بمثابة وثيقة عن صورة «إسرائيل» السياسية والثقافية تتجاوز حالة عرض آرائها من العام ٢٠١١ لتظهر خفايا عن ماهيتها تمتد إلى ماض بعيد متصل بحاضر راهن ومستقبل قلق.

يبقى القول ان مادة هذا التقرير استفادت من ميزة أن النقاش الإسرائيلي لـ«العام ٢٠١١ العربي»، جرى تحت صدمة النخب ومراكز القرار السياسي والأمني الإسرائيلية بالثورة المصرية وأخواتها، ما جعل التعبير عن هذا الحدث وعن موقع «إسرائيل» إزاء تحدياته يتم بأسلوب غير خاضع لكل أنواع الرقابة الذاتية منها أو الأمنية. وتجدر الملاحظة، إلا أنه مع تبدد وهج الصدمة لاحقاً تمت إعادة ضبط النقاش الإسرائيلي ليعود إلى تقاليد حذره. وعليه يمكن القول إن أهمية هذا النقاش الإسرائيلي الذي ينقل وقائعه ومناخاته هذا التقرير، تكمن في أنه يقع بين لحظة بدء الصدمة ولحظة ما قبل نهاية وهجها؛ أي فوق مساحة زمنية شهدت خروج الكلام الإسرائيلي عن نسبة عالية من حذر الصمت، ما قدّم مادة تعبّر عن طبقة عميقة داخل التفكير الإسرائيلي.